حلمٌ قُضِي عليه بالضياع!

منذُ أن كنتُ صغيرًا ووالدايّ هما من يراعاني، هكذا طبيعة العلاقة فأنهما والداي!، كنت لا أفقهُ شيئًا من أمور الدنيا، تقول أمي: إذا ذهبت إلى مدرستك لا تُصدر الضجيج وكُن حسنَ السلوك واخفض صوتك إذا تحدثت، ومالي إلا تلبية النداء بأن سمعًا وطاعة يا أمي. يقول أبي: بُني، سوف نذهب إلى بيتِ عمك فأحسن التصرف ولا تتحدث كثيرًا وإذا عزما عليك في بداية الأمر بالطعام فكُن مهذبًا وتعامل بذكاء، وأيضًا ألبي كلامه كسيفٍ على رقبتي فإنه أبي.

كبرتُ وظللتُ هكذا، افعل هذا ولا تفعل ذاك، اذهب بحذائكَ الأسود لأنه يليق ولا تذهب بهذا اللون من الحذاء البتة ولتتصرف كرجلٍ ناضج! -وحتى وإن كنت أريد الذهاب به وأحبه، ولكن أمي أمرت وهى أكبر وأوعى، إذًا فحسنًا- ..

أبي: قولت لك لا ذهاب لِلعبِ كورة القدم، اذهب لتنجز مُذاكرتك ولتكُن في كلية الطب والهندسة مثل أولاد عمك!.

من هنا إلى هناك ومثلما رأيتُ منهم من تنظيم لحياتي بهذا الوضع، أصبحا هما من يفكران لي في كل صغيرةٍ وكبيرة ولا رأي لي أبدًا، لستُ معترضًا فأنهما والداي وطاعتهما واجبة بل فُرضت عليّ ولكن... سوف أكمل فقط الآن.

كنتُ دائمًا منذُ صغري أتمنى أن أصبح رجلاً رياضيّ ومدربًا أيضًا، أحب الرياضة من صِغري لذا كان حلمي هو دخولي كلية التربية الرياضية، ولكن كان هذا حلمي أنا فقط، فأمي تُريدني أن أكون أفضل من بنات خالاتي الدَرِسات في كليات الصيدلية -فأي كلية مهما كنت ترغب بها كحلمٍ لك وتحقق بدون تقصيرٍ منك هي بذاتها كلية قمةً لك، أو قدر الله لك فاختارها فهي أيضًا تصبح قمةً بالنسبة لك- ولكن تقصد أمي هُنا بالقمة هي كلياتِ الطب، الهندسة، وكلية الصيدلية.. وما إلى شبه.

ولقد قرر أبي حتمًا بدخولي كلية الهندسة لأعمل معه في شركتهِ الخاصة مثل أخوايه، - لا أعلم لمَ يُجبرني على هذا- ولكن يقول: أخواتي وابنائهم ليسوا أفضل منك في شيء، وحالهم ليسَ أفضل من حالك، وسوف تدخل الهندسة وقُضى الأمر.

نعم أمر، وماذا عن حلمي وما أريده أنا، سرابًا!.

القهِ في سلة المهملات قولنا لك أما هذة الكلية أو ذاك فلا نقاش ثانيًا وانتهى الأمر.

حلمٌ قُضيٰ عليه من والداي بالفناء، والدي اللذان يظنان أنهما بفعلتِهما تلك يسعان لمصلحتي ولرفع شأني فيما بعد..

كنت أطيرُ بأحلامي لفوق، أسعى إليها منذُ صغري، رغم أوامِرهم عليّ، بأن لعلي أصبح ما أتمنى وأنهما سيتفهمان رغبتي الخاصة!.

ولكن ماذا فعلوا جعلوني أطيرُ وأطيرُ بارتفاع أكثر علو، ومن ثم إلى نهاية المطاف قالوا قف!. وقصوا لي أجنحتي وكسروا أحلامي وأمرا عليها بالهلاك!.

وبقوة الجملة المُتعادة: «نحنُ والداك وأدرى بمصلحتك».

مخطئان، وكأنهما يحققان فيّ حلمهما الذي قد رحل عنهما في سابق عهدِهما ولم يقوموا به، أو بمعنى أبلغ مثل ما فعل فيهما والدِهما.

قد صمت بحزنٍ شديد لأقُل لهما:

«سمعًا وطاعة والداي». فلا رأي بَعدكُما حتى وإن كنت رافضًا.

***